مصرع عبد العزيز

في أواخر شهر رجب سنة ١٢١٨ هـ . ، بينما كان الإمام عبد العزيز يؤدي صلاة العصر في مسجد الطريف بالدرعية ، فاجأه قاتل أثيم بطعنة خنجر، كانت فيها منيته ، فمات شهيدا .

ويقول ابن بشر ان القاتل وثب على الإمام من الصف الثالث ، وعبد العزيز في السجود (فطعنه في خاصرته ، أسفل البطن بخنجر معه قد أخفاه وأعده لذلك .. فاضطرب أهل المسجد ، وماج بعضهم في بعض ، ولم يكونوا يدرون ما الأمر ، فمنهم المنهزم ، ومنهم الواقف ، ومنهم الكار إلى جهة العدو العادي.

وكان لما طعن عبد العزيز ، أهوى إلى أخيه عبد الله ، وهو إلى جانبه وبرك عليه ليطعنه ، فنهض عليه وتصارعا وجرح عبد الله جرحاً شديدا ، ثم إن عبد الله صرعه وضربه بالسيف ، وتكاثر عليه الناس وقتلوه ، وقد تبين لهم وجه الأمر .

ثم حمل الإمام إلى قصره ، وقد غاب ذهنه وقرب نزعه ، لأن الطعنة قد هوت إلى جوفه ، فلم يلبث أن توفى ، بعد أن صعدوا به إلى القصر ، رحمه الله تعالى وعفا عنه .

واشتد الأمر بالمسلمين وبهتوا .

وكان ابنه سعود في نخله المعروف بشيرفة في الدرعية ، فلما بلغه الخبر أقبل

مسرعاً ، واجتمع الناس عنده ، وقام فيهم ووعظهم موعظة بليغة ، وعزّاهم فقام الناس وبايعوه ، خاصتهم وعامتهم ، وعزوه بأبيه) .

من هو القاتل :

يقول ابن بشر ان القاتل .. درويش جاء إلى الدرعية (وادعى أنه مهاجر وأظهر التنسك والطاعة ، وتعلم شيئاً من القرآن ، فأكرمه عبد العزيز وأعطاه وكساه) .

ويقول مؤلف اللمع إن هذا الرجل جاء من بغداد مع ركب من أهل الدرعية فقدم على عبد العزيز ، وقال :

« أنا رجل من بغداد ، سمعت بدينك من عشر سنوات ، ولكن لم أتمكن من الوصول اليك .. والآن – والحمد لله – قد بلغت مرادي ، فأنا أعاهدك على هذا الدين ، وليس لي بعد ذلك رجوع إلى أهلي وعيالي ، بل داركم هـذه دار هجرة ومقام المؤمنين ، وأنتم أعز عليّ من جميع قومي وعشيرتي » .

وكان رجلاً فصيحاً ، فقبل ذلك منه عبد العزيز ، وقرّبه اليه ، حيث أنه رأى منه الملازمة على صلاة الجماعة والتجنب عن بعض الأمور .. المراد أن عبد العزيز أحبه أتم محبة ،وكان إذا دخل المسجد للصلاة يجعله إلى جنبه ويقول: هذا من الطائعين المخلصين » ..

اسم القاتل ، وبلده ، ومحرضه :

يبدأ ابن بشر بالقول ان القاتل كردي (من أهل العمادية ، بلد الأكراد المعروف عند الموصل ، اسمه « عثمان » ، أقبل من موطنه لهذا المقصد محتسباً .)

ثم يعود فيتشكك في صحة روايته الاولى ، فيقول : (وقيل ان هـذا الدرويش، الذي قتل عبد العزيز ، من أهل بلد الحسين ، رافضي خبيث ، خرج من وطنه لهذا القصد ، بعد ما قتلهم سعود فيها ، وأخذ أموالهم، فخرج ليثأر، وكان قصده قتل سعود ، فلم يقدر عليه ، فقتل عبد العزيز .

وهذا ، والله أعلم ، أحرى بالصواب ، لأن الأكراد ليسوا بأهل رفض، ولا في قلوبهم غلّ على المسلمين .)

والواقع ان المؤرخين اختلفوا في اسم القاتل وفي بلده وفي دافعه الى القتل!..

ولعل القاتل تسمى، في الدرعية، باسم « عثمان » ، ليبعد الشبهة عن شيعيته، ولذلك جاء في (دوحة الوزراء) ان هذا الرجل « يقال له » : ملاّ عثمان ..

وفي (اللمع) ان اسمه الحقيقي : « علي » ، وفي رواية (التاج المكلل) ان اسمه : « عبد القادر » .

جنسيته :

يقول ابن بشر في روايتيه ان القاتل عراقي .

وفي دوحة الوزراء أنه أفغاني الأصل كان يقيم في بغداد .

وفي التاج المكلل أنه فارسي الأصل من جيلان .

وفي لمع الشهاب أنه عربي من بغداد ، واسمه الكامل : الحاج علي البغدادي .

المحرّض :

في التاج المكلل ان الذي حرّض على القتل ودفع القاتل اليه هو ملك العجم، لأن ابن سعود انتزع القطيف والبحرين من ملكه ، ثم خرب مشهد الحسين ، (ولما لم يكن له طاقة في محاربته والتوصل اليه ، عمد الى الإيقاع به بالحيلة ، فأنفذ اليه عبد القادر المذكور ، فأتى الى الدرعية وتظاهر بالدين والعبادة .)

قد تبدو هذه الرواية ضعيفة، ولكننا وجدنا في تاريخ مانجان – وهو مؤرخ موثوق – قصة تؤيدها ، قال : (قُتل عبد العزيز في ١٨ رجب سنة ١٢١٨ هـ . وقد وجدوا في عمامة قاتله ورقة مغفلة من الخاتم ، كتب عليها بالفارسية هذه الكلمات :

إن ربك ودينك يوجبان عليك قتل عبد العزيز ،
فإذا استطعتَ الهرب نلتَ مكافأة عظيمة ،
وإذا وقعتَ ، فاعلم أن الجنة قد فتحت لك أبوابها)

وهذه القصة – إذا صحّت – قد تدلُّ على اشتراك بعض الفرس ، سواء من فارس أم من العراق، في المؤامرة ، وان المباشر للقتل فارسي، بدليل مخاطبتهم له بلغته ، والله أعلم .

ويقول مؤلف (لمع الشهاب) ان والي بغـــداد علي باشا ، هو الذي دبّر المؤامرة ، ويعطينا التفاصيل الآتية :

(إن علي باشا – الذي تولى وزارة بغداد بعد سليمان باشا – كان دائم الحقد على آل سعود ، وعلى كل من هو متمسك بدعوة محمد بن عبد الوهاب .

وكانت له همم عليّة وقدرة جليّة في إرسال العساكر عليهم ، لكن شغله عنهم مخاصمته مع العجم ، حيث ألقى حرباً على الشاه « زاده محمد علي ميرزا » ، والي كرمنشاه .

والحاصل : ان علي باشا مرّ يوماً على جسر بغداد ، فقال لبعض ندمائه :

(لو يحصل عنـدي من يبذل نفسه ويسير الى الدرعية ، فيقتل عبد العزيز غيلة ، لأعطيته الآن ألف ، وإذا بلغني فعله بموجب ما أريد منه ، قررت لعياله وعيال عياله وظائف من الديوان لا تنقطع أصلاً ، وكتبت كتاباً تذكر فيه اللعنة على من يخالف ذلك من وزراء بغداد بعدي .)

قال الراوي : فلما كان الغد ، أتى رجل بيده رقعة ، فوقف مقـابل طارمة الباشا ، على ما يقف أهل الشكوى ، فالتفت « علي باشا » وقال : إيتوني بما في يد هذا الرجل .

فأتوه بالرقعة ، وإذا مكتوب فيها :

(من الفقير الحقير علي ، الى جناب ولي نعمته الوزير المعظم علي باشا .

أما بعد .. فقد سمعت انك تريد من يكفيك شر عبد العزيز النجدي بقتله ، فهذا أنا أفعل ذلك ، بحول الله تعالى .)

فأمر علي باشا بإحضاره لديه ، وقال له : أنت علي ؟

قال : نعم .

قال : أتوفي بما قلت ؟

قال : نعم .

فأمر له بألف ذهب ، وقال : هذه توضع بيد من تأتمنه من الناس المعروفين

في بغداد ، فإذا بلغنا صنعك فهي لك، تعطى لعيالك، ولهم أيضاً وظيفة جارية تكفيهم من جميع الوجوه ، الى مدة بقاء الدولة العثمانية !

فسار الرجل إلى بيته وودّع عياله، وأخذ له بعض المتاع فأحقبه على ظهره، ثم أتى قبيل العصر إلى علي باشا واستأذن الدخول عليه فأذن له فدخل ، وقال:

ها أنا سائر على بركات الله تعالى ، وأنت اصنع .. الذي وعدت به !

فنادى الباشا أحد خدامه ليأتيه بحصان أو بغل.. فقال: إني لا أريد شيئاً، أمشي مع القوافل برسم الحاج الفقير المضطر ، حتى أصل الدرعية ..

.. فأمر علي باشا من ساعته بألف ذهب ، وضعت بيد من هو ائتمنه ، وأمر أيضاً بقدر من الطعـام والدراهم سُلمت إلى عياله .. ثم سار .. وكان مسيره يوم الأحد ٧ صفر (١٢١٩) فانحدر إلى البصرة ، حتى وصل إلى الدرعية .) [١]

.. وتقرّب من الإمام عبد العزيز وكان يصلي في المسجد قريباً منه ، وبقي كذلك أكثر من عام يتظاهر بالتقوى والانصراف عن الدنيا وأمورها .

(.. وفي يوم الجمعة غرة رجب من العام ١٢٢٠ أخفى الحاج (علي) خنجره تحت ثيـــابه وصمم على قتل عبد العزيز في وسط الصلاة ، ففعل ذلك ، فخرّ عبد العزيز ميتاً .)

فنهض اليه رجال عبد العزيز وقطعوه إرباً إرباً .

وبعد شهر كامل (بلغ الخبر إلى بغـــداد وسمع به علي باشا وسُرّ به غاية السرور ، ولما تحقق أن القـــاتل هو الحاج (علي) البغدادي .. أرسل خلف أولاده وأكرمهم ودفع لهم الألف ذهب .. ثم أجرى لهم كل شهر كذا .. من الدراهم) .

---

(١) توفي الامام عبد العزيز سنة ١٢١٨ مما يدل على ضعف رواية لمع الشهاب .. وإن كان الخطأ في التاريخ لا يعني بطلان الرواية كلها .